المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد النبي الأمين، وآله وصحبه أجمعين:

وبعد:

فلقد بحثت عن موضوع في التفسير أقدمه لنيل شهادة «الدكتوراه» من كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، فاخترت:

(اختلاف المفسرين.. أسبابه وآثاره)

وإذا كان أسباب اختلاف الفقهاء قد أُلفت فيه الكتب، ودوِّنت فيه الرسائل العلمية، فإن بيان أسباب اختلاف المفسرين في القرآن الكريم لا يقل أهمية عن بيان أسباب اختلاف الفقهاء؛ ذلك أن المفسر يبيِّن معنى الآية وحكمها بالأصالة والمباشرة والشمول؛ بخلاف الفقيه المعني بالأحكام الفرعية؛ لا سيما وأن كل مفسر فقيه؛ وليس كل فقيه بمفسر.

ولقد دعاني إلى اختيار هذا الموضوع أن كثيراً من كتب التفسير المتداولة؛ وبالأخص كتب التفسير بالمأثور، ينقل أصحابها في تفسير الآية الواحدة أقوالاً متعددة ومختلفة، قد يراها القارئ لأول وهلة

أقوالاً متعارضةً متناقضةً، وهي ليست كذلك، ولا يزول هذا إلا بمعرفة الأسباب الداعية لاختلاف المفسرين وما ينتج عنها من آثار.

كما أن من دواعي اختياري لهذا الموضوع أنه موضوع بكر؛ لم يسبق أن كُتب فيه بحث أو رسالةٌ مستقلة، وذلك حسب علمي ومعرفتي.

ولا أزعم أني استقيت كل أسباب اختلاف المفسرين؛ ولكني بينت أهم الأسباب في هذا، والتي هي أصول بالنسبة لما لم أذكره. وقد آثرت الاختصار غير المخلّ، على التطويل الممل. ولا أدّعي أني بلغت الكمال أو قاربته، ولكن حسبي أنني بذلت جهدي، وتوخّيت الصواب ما أمكنني ذلك، فإن وفّقت فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان.

وتشمل خطة بحثي في هذه الرسالة تمهيداً، وثلاثة أبواب. جعلت الباب الأول: لبيان الأسباب العامة لاختلاف المفسرين، وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: اختلاف القراءات في القرآن ومقاييس قبولها.

الفصل الثاني: المباحث اللغوية والبيانية، كالإعراب، والاشتراك، والحقيقة، والمجاز، والعموم، والخصوص، والإطلاق، والتقييد، والإجمال، والبيان، والأمر، والنهي.

الفصل الثالث: دعاوى النسخ والاختلاف فيها.

الفصل الرابع: مواقف المفسرين من القضايا العقلية، وفهم المتشابه.

وجعلت الباب الثاني، لبيان الأسباب الخاصة لاختلاف المفسرين، وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول: اختلاف مقاييس النقد لسند الروايات.

الفصل الثاني: اختلاف مقاييس النقد لمتن الروايات.

الفصل الثالث: الاختلاف في مصادر التشريع مما لا نص فيه.

الفصل الرابع: الانتماء العقدي. ودرست فيه نموذجين:

الزمخشري المعتزلي، والطبرسي الشيعي.

الفصل الخامس: الانتماء المذهبي الفقهي: ودرست فيه نموذجين، هما:

أبو عبد الله القرطبي المالكي، وأبو بكر الجصاص الحنفي.

وجعلت الباب الثالث: لبيان آثار الاختلاف بين المفسرين، وفيه فصلان:

الفصل الأول: أثر اختلاف المفسرين في العقائد، وبحثت فيه ثلاث قضايا مهمة، هي:

١ ـ زيادة الإيمان ونقصانه.

٢ ـ الاستثناء في الإيمان.

٣ ـ الحُسن والقبح شرعاً وعقلاً.

الفصل الثاني: أثر الاختلاف في الأحكام الفقهية في سورة الحج.

وإني لأشكر شكراً جزيلاً فضيلة شيخي عبدالرزاق عفيفي (نائب رئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، والمشرف على رسالتي هذه) لما قدمه لي من نصح وتوجيه، وحسن إشراف ورعاية. ولقد فرّغ لي من وقته الشيء الكثير، وأفدت من علمه ما لم أستفده في

سني دراستي كلها. فجزاه الله عني خير الجزاء، وغفر الله له ورحمه رحمة واسعة، ونفع بعلمه الإسلام والمسلمين!

التـــمهيـــد

نشأة التفسير

ومراحل تطوره

واتجاهاته العامة . . .

نشأة علم التفسير ومراحل تطوره

التفسير في القرن الأول:

لقد بعث الله محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق، وأعطاه القرآن معجزة خالدة، وكلفه أن يبلغها للناس جميعاً ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[1]. فبلغها على أتم وجه، وبيّنها لأمته أجمل بيان وأوضحه: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾[2].

والتبليغ من لازم البيان، وباعتبار أن رسول الله ﷺ هو المبين للقرآن عن ربه؛ فهو ـ بحق ـ أول مفسر له. وعنه تناقل الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ ما فسره لهم من آيات القرآن الكريم؛ سواء كان جواباً لسؤال سألوه إياه، أم حكماً بينه لهم بقول أو فعل أو تقرير، كقوله في حديث الطلاق في الطهر: (فتلك العدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء)[3]. وقوله في حديث عائشة[4] ـ حين سألته عن

---

(١) الآية: ٦٧ من سورة المائدة.

(٢) الآية: ٦٤ من سورة النحل.

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح. انظر ٩/٢٥٨ من فتح الباري.

(٤) هي أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق، وهي البكر الوحيدة من زوجات=

تفسير قوله تعالى ـ: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾[١] إنما ذلك العرض[٢].

وقوله تعالى ـ في تفضيل الرجل على المرأة ـ: ﴿. . وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ . . .﴾ الآية[٣]. فسرتها آية: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ . . .﴾ الآية[٤]. وقوله ـ في زواجه بزينب[٥] بنت جحش ـ: ﴿. . . زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ . . .﴾ الآية[٦]. فقد بين سبحانه ما أجمل في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ . . .﴾ الآية[٧]. وبيَّن لهم كيفية الصلاة

= الرسول ﷺ تزوجها وهي بنت سبع سنين ودخل بها وهي بنت تسع، ونزلت براءتها من السماء في حادث الإفك، كانت فقيهة عالمة، توفيت سنة سبع وخمسين ٥٧هـ، ولها ٦٥ سنة.
انظر الذهبي: «تذكرة الحفاظ» ١/ ٢٧، وابن حجر: «الإصابة» ٤/ ٣٥٩.

(١) الآية: ٨ من سورة الانشقاق.

(٢) أخرجه البخاري. انظر فتح الباري ٨/ ١٩٧.

(٣) الآية: ٢٢٨ من سورة البقرة.

(٤) الآية: ٣٤ من سورة النساء.

(٥) هي أم المؤمنين زينب بنت جحش الأسدية، هاجرت مع الرسول ﷺ إلى المدينة، تزوجها رسول الله ﷺ بعد غزوة المريسيع، وكانت تحت مولاه زيد بن حارثة. زوجها الله نبيه ﷺ بوحي من السماء، فكانت تفخر على نساء النبي ﷺ، وتقول: زوجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سماواته. توفيت سنة ٢٠هـ، وصلى عليها عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ وهي أول أمهات المؤمنين موتاً بعد رسول الله ﷺ، وتوفيت عن ثلاث وخمسين سنة.
انظر ابن سعد: الطبقات الكبرى ٨/ ١٠١.

(٦) الآية: ٣٧ من سورة الأحزاب.

(٧) الآية: ٣٧ من سورة الأحزاب.

والحج بفعله، وقال في بيان ذلك: (صلوا كما رأيتموني أصلي)[١]. و (خذوا عني مناسككم)[٢]. إلى غير ذلك. وكان إقراره بياناً ـ أيضاً ـ إذا علم بالفعل ولم ينكره.

ولقد امتاز العرب بصفاء القريحة، وحدة الذهن، وقوة الذاكرة، وكان لصحابة رسول الله ﷺ النصيب الأوفر من هذه الصفات مع تفاوت بينهم في فهم معاني القرآن وتراكيبه، لتفاوتهم بصفاء القريحة، وحدة الذهن، وقوة الذاكرة، وتعاونهم في حفظ القرآن والأحاديث، فيحفظ أحدهم ما لا يحفظه الآخر، ويحضر أحدهم مقاماً غاب عنه أخوه، وهذا له أثره في تفاوتهم في تفسير القرآن حسب دلالة اللفظ، أو تفسير الرسول ﷺ وبيانه، يقول ابن عباس: «كنت لا أدري ما فاطر السماوات والأرض حتى أتاني أعرابيان يتخاصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، يقول: أنا ابتدأتها، وما كنت أدري ما قوله تعالى: ﴿. . .رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ﴾ الآية[٣]. حتى سمعت قول بنت ذي يزن. . تعال أفاتحك: تريد أخاصمك»[٤].

فمعرفتهم باللسان العربي، ومشاهدتهم تنزل الوحي ومعجزات الرسول ﷺ، ومعرفتهم بأسباب نزول القرآن وموارد الحديث. كل هذا يجعلهم أدرى من غيرهم في تفسير القرآن والسنة وأقدر على فهم النص، وأعرف بقرائن الأحوال. والشاهد يرى ما لا يرى الغائب.

(١) رواه البخاري ٢/ ١٧٢ من فتح الباري.

(٢) رواه مسلم. انظر: ٩/ ٤٥ من شرح النووي.

(٣) الآية: ٨٩ من سورة الأعراف.

(٤) ١/ ١١٣ من الإتقان للسيوطي.

(أ) التفسير في عهد الرسول ﷺ

هل فسر الرسول ﷺ القرآن للصحابة كاملاً؟

اختلف الناس فيه على قولين: فذهب السيوطي[١]، والقاضي شمس الدين الخوي[٢] إلى أن النبي ﷺ لم يبين لأصحابه من معاني القرآن إلا القليل[٣]، وهو ما تدعو الحاجة إليه، وذهب شيخ الإسلام ابن تيمية[٤] إلى أن رسول الله ﷺ بيّن لأصحابه كل معاني القرآن

---

(١) هو الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي الشافعي، له مصنفات كثيرة، قال عنها الداودي: إنها بلغت (خمسمائة) مؤلف، ولد سنة ٨٤٩هـ، وتوفي سنة ٩١١هـ، وله إحدى وستون سنة.
انظر ابن العماد: شذرات الذهب ١/ ٥١.

(٢) محمد بن أحمد بن الخليل بن سعادة الخوي، نسبة إلى (خوى) إحدى مدن تبريز، فقيه أصولي محدث مفسر، ولد بدمشق سنة ٦٢٦هـ، وتولى قضاء القدس وحلب والقاهرة، توفي سنة ٦٩٣هـ، من تصانيفه: شرح الأصول الخمسين في النحو لابن معطي المالكي، ونظم علوم الحديث لابن الصلاح.
انظر ابن العماد: شذرات الذهب ٥/ ٤٢٣، وكحالة: معجم المؤلفين ٨/ ٢٥٨.

(٣) انظر: ١/ ١٦ من البرهان في علوم القرآن ص ١٩١ من كتاب «مقدمتان في علوم القرآن»، وانظر الإتقان: ٢/ ١٧٤.

(٤) شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني الدمشقي، بلغت تصانيفه الآفاق، عالم مجتهد، مصلح، إذا سمعه السامع يتحدث في فن ظن أنه لا يحسن غيره، ولد ببلدة (حران) سنة ٦٦١هـ، تعرض للسجن والأذى عدة=

الكريم جملة وتفصيلاً، واستدل بما ذهب إليه بالنقل والعقل والواقع، فقال[١]:

أولاً: يجب أن يُعلم أن النبي ﷺ بين لأصحابه معاني القرآن، كما بين لهم ألفاظه، فقوله تعالى: ﴿... لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ...﴾ الآية[٢]. يتناول هذا وهذا.

ثانياً[٣]: وقد قال أبو عبد الرحمن السلمي[٤]: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن كعثمان[٥] بن عفان، وعبد الله بن مسعود[٦]: أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتى

= مرات لقوله بعدم جواز شد الرحال إلا إلى المساجد الثلاثة. أفرد ابن عبد الهادي له ترجمة وافية في مجلد خاص، ولما جمعت فتاواه؛ بلغت (٣٧) مجلداً.
انظر ابن رجب: ذيل طبقات الحنابلة ١/٣٨٧.

(١) مقدمة في أصول التفسير ص ٣٥، تحقيق: عدنان زرزور. وانظر التفسير والمفسرون ١/٤٩.

(٢) الآية: ٤٤ من سورة النحل.

(٣) لفظة أولاً، وثانياً... إلخ ليست من كلام ابن تيمية، وإنما أدخلتها للفت النظر إلى أهمية ما ذكره.

(٤) أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب بن ربيعة السلمي الكوفي، عالم ثقة، ثبت، روى القراءة عن عثمان بن عفان، وقرأ عليه عاصم بن أبي النجود، وسعيد بن جبير، وتوفي سنة ٤٣هـ.
انظر الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/٥٨.

(٥) ذو النورين، الخليفة الراشد عثمان بن عفان، تزوج بنتي الرسول ﷺ رقية، وأم كلثوم، أمر بجمع القرآن في مصحف واحد، قتل شهيداً في داره في الثامن عشر من ذي الحجة سنة ٣٥هـ، وعمره (٨٠) عاماً.
انظر الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/٨، وابن حجر: الإصابة ٢/٤٦٢.

(٦) أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود بن أم عبد الهذلي، من فقهاء الصحابة، وأعلمهم بالحلال والحرام، قال فيه عمر بن الخطاب: أنه كنيف ملئ علماً، توفي سنة ٣٢هـ، وعمره ستون عاماً.
انظر الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/١٣، وابن حجر: الإصابة ٢/٣٦٨.

يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً. ولهذا يبقون مدة في حفظ السورة. وقال أنس بن مالك[١]: كان الرجل إذا قرأ البقرة، وآل عمران جل في أعيننا، وأقام ابن عمر[٢] على حفظ البقرة عدة سنين.

ثالثاً: قال الله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ . . .﴾ الآية[٣]. وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ . . .﴾ الآية[٤]. وقال: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ . . .﴾ الآية[٥]. وتدبر الكلام بدون فهم معانيه لا يمكن، وكذلك قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢﴾[٦]. وعقل الكلام متضمن لفهمه، ومن المعلوم أن المقصود بكل كلام هو فهم معانيه دون مجرد ألفاظه، والقرآن أولى بذلك.

رابعاً: وأيضاً: فالعادة تمنع أن يقرأ قوم كتاباً في فن من العلوم، كالطب، والحساب، ولا يستشرحوه، فكيف بكلام الله تعالى الذي هو عصمتهم، وبه نجاحهم وسعادتهم وقيام دينهم ودنياهم؟!

---

(١) أنس بن مالك بن النضر الأنصاري، خادم رسول الله ﷺ، من أكثر الصحابة رواية عن الرسول، توفي سنة ٩٣هـ، وهو آخر من مات من الصحابة بالبصرة، وله من العمر ثلاث ومائة سنة.
انظر الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ٤٤، وابن حجر: الإصابة ١/ ٧١.

(٢) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهما ـ شهد الخندق من المكثرين من الرواية، يقول أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ: لم يكن أحد من الصحابة أكثر رواية عن رسول الله مني إلا عبد الله بن عمر، فإنه كان يكتب، ولا أكتب. توفي سنة ٧٤هـ، وعمره ٨٧ سنة.
انظر الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ٣٧، وابن حجر: الإصابة ٢/ ٣٤٧.

(٣) الآية: ٢٩ من سورة ص.

(٤) الآية: ٨٢ من سورة النساء.

(٥) الآية: ٦٨ من سورة المؤمنون.

(٦) الآية: ٢ من سورة يوسف.

خامساً: ما رواه ابن ماجه[١]، والإمام أحمد[٢] عن عمر بن الخطاب[٣] أنه قال: إن آخر ما نزلت آية الربا، وأن رسول الله ﷺ قبض ولم يفسرها، فدعوا الربا والريبة[٤] ومفهوم هذا: أن الرسول ﷺ كان يفسر لهم القرآن، كلما أنزل عليه آيات فسرها، وإلا لم يكن للتخصيص بها وجه.

أدلة المانعين أن يكون الرسول ﷺ فسر القرآن كله أو أكثره:

١ ـ ما أخرجه البزار[٥] عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: ما كان رسول الله ﷺ يفسر شيئاً من القرآن إلا آيات بعدد، علمه إياهن

---

(١) هو الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني بن ماجه، صاحب السنن، وكتابه هذا أحد الكتب الستة، له باع طويل في التفسير والتاريخ، ولد سنة ٢٠٩هـ وتوفي سنة ٢٧٣هـ.
انظر الذهبي: تذكرة الحفاظ ٢/ ٢٣٦، وابن العماد: شذرات الذهب ٢/ ١٦٤.

(٢) هو الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل بن هلال بن أسيد الهذلي الشيباني إمام أهل السنة وصاحب (المسند) ولد سنة ١٦٤هـ في بيت علم وفقه وصلاح، أعز الله به الإسلام يوم الفتنة بخلق القرآن، مناقبه كثيرة جداً، ألف فيها ابن الجوزي مجلداً، توفي ـ رحمه الله ـ سنة ٢٤١هـ، وله من العمر (٧٧ عاماً).
انظر الذهبي: تذكرة الحفاظ ٢/ ٣٤١، وابن العماد: شذرات الذهب ٢/ ٩٦.

(٣) أمير المؤمنين الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ اتسعت رقعة الإسلام في عهده، فبلغت بلاد فارس والروم، مآثره أكثر من أن تحصر، ألف الإمام الذهبي في سيرته (نعم السمر في سيرة عمر) استشهد ـ رضي الله عنه ـ سنة ٣٣هـ، وله من العمر ٦٣ سنة.
انظر الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ٥، وابن حجر: الإصابة ٢/ ٥١٨.

(٤) ٢/ ٣٩ من سنن ابن ماجه، وإسناده صحيح ورجاله موثقون إلا أن سعيد بن أبي عروبة اختلط بآخره (كذا في زوائد الهيثمي).

(٥) هو الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصري البزار، صاحب المسند، عاش في أصبهان، وتوفي في (الرملة) من بلاد فلسطين سنة ٢٩٢هـ.
انظر الذهبي: تذكرة الحفاظ ٢/ ٦٥٣، وابن العماد ٢/ ٢٠٩.

جبريل[١].

٢ ـ ما روي عن أبي بكر الصديق[٢] لما سئل عن (الأب) في قوله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾﴾[٣]. أنه قال: أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني إذا قلت بكتاب الله ما لا أعلم. وقول عمر: هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأب؟ ثم رجع إلى نفسه فقال: إن هذا لهو التكلف يا عمر. ومثل هذا كثير.

٣ ـ لو كان الرسول ﷺ يبين لأصحابه كل معاني القرآن أو معظمها ما كان لتخصيص الدعاء لابن عباس كبير فائدة في قوله: (اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل)[٤]. ولو كان التفسير مأثوراً كله عن النبي ﷺ لقال لابن عباس: اللهم فقهه في الدين، وحفظه التأويل.

٤ ـ ومن العقل «أن تفسير القرآن كله متعذر إلا في آيات قلائل، فالعلم بالمراد يستنبط بأمارات ودلائل، والحكمة فيه أن الله تعالى أراد أن يتفكر عباده في كتابه، فلم يأمر بالتخصيص على المراد في جميع آياته»[٥].

---

(١) ٦/٣٠٣ من مجمع الزوائد، وانظر ١/٦ من تفسير ابن كثير قال فيه الهيثمي: فيه راو لم يسم، وبقية رجاله رجال الصحيح، وهذا الراوي الذي لم يسم قال عنه ابن كثير: أنه «جعفر بن محمد بن خالد بن الزمر بن العدام»، قال البخاري: لا يتابع حديثه، وقال الحافظ أبو الفتح الأزدي: منكر الحديث.
انظر لسان الميزان ٢/١٢٤.

(٢) الخليفة الأول أبو بكر الصديق عبد الله بن عثمان بن أبي قحافة، صديق هذه الأمة، وصاحب رسول الله ﷺ في الغار، توفي سنة ١٣هـ، وعمره (ستون عاماً).
انظر الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/٢، وابن حجر: الإصابة ٢/٣٤١.

(٣) الآية: ٣١ من سورة عبس.

(٤) ١/٢٤٤ فتح الباري.

(٥) ٢/١٧٤ الإتقان.

منشأ الخلاف وسببه:

بتتبع أدلة الطرفين المانعين والمجيزين؛ يتبين أن منشأ الخلاف ما يلي:

الاختلاف في معنى التشابه، هل يعلمه العلماء أو لا يعلمه إلا الله؟ ومنشأه: هل الوقف على اسم الجلالة؟ أو على قوله: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ في قوله تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾[1].

مناقشة أدلة الطرفين:

إن وقوف الصحابة على عشر آيات لا يتجاوزونها حتى يتعلموها ويعملوا بها، لا يدل على أن الرسول ﷺ كان يفسر لهم كل معاني القرآن؛ بل كل ما فيه بيان طريقة تعلم الصحابة حفظ القرآن، وفهمه بعضهم من بعض؛ أما الآيات الدالة على وجوب تدبر القرآن وعقل معانيه، فعامة فيما بينه لهم الرسول ﷺ، وفيما لم يبينه؛ مما كانوا يستشرحونه.

أما قول عمر بن الخطاب ـ في آية الربا ـ، فيدل على أن الرسول ﷺ لم يفسرها لهم تفسيراً جامعاً لجزئيات الربا حتى لا يختلف فيه الصحابة، وهذا إنما هو احتياط من عمر ـ رضي الله عنه ـ بدليل قوله: «فدعوا الربا والريبة».

وحديث عائشة يحمل على بيان الناسخ والمنسوخ، وكيفية

(١) الآية: ٧ من سورة آل عمران.

الصلاة وأوقاتها، وعدد ركعاتها، ونحو ذلك مما لا يفهم من دلالة اللفظ فقط؛ بل لا بد من دليل يبين المعنى المراد، ويكون في نزول الوحي عن طريق جبريل، ولو حمل لفظ حديث عائشة على ظاهره؛ للزم أن يكون القرآن أنزل على محمد ﷺ، ولم يبينه لهم، وإنما ترك بيانه إلى الناس أنفسهم، ولا يقول بهذا عاقل.

وتوقف أبي بكر عن تفسير (الأبّ) إنما هو تورع منه؛ وإلا فهو معروف في لغة العرب.

وتخصيص ابن عباس في الدعاء إنما هو في الجمع بين الفقه والعلم، وهذا فضيلة له، ومعجزة للنبي ﷺ؛ وإلا فقد يشاركه غيره في إحدى الصفتين، أو في كليهما، والنتيجة من هذا كله: أن الرسول ﷺ لم يفسر للصحابة كل معاني القرآن، ولم يبين لهم كل ألفاظه، لأنهم عرب بالسليقة يفهمون فحوى الخطاب مثل ما يفهمون ظاهر النص، ولو بين لهم الرسول ﷺ ما يفهمونه لكان ذلك تحصيل حاصل.

الترجيح:

والذي يظهر ـ والله أعلم ـ أن أدلة الطرف الأول القائلين: إن الرسول ﷺ لم يفسر من القرآن إلا ما تدعو الحاجة إليه أظهر وأقرب للقبول؛ وشاهد هذا، قول ابن عباس: التفسير على أربعة أقسام: قسم تعرفه العرب من كلامها، وقسم لا يعذر أحد بجهالته، وقسم يعلمه العلماء خاصة، وقسم لا يعلمه إلا الله. ومن ادعى علمه، فهو كاذب[1].

(١) ٢/ ١٦٤ من البرهان للزركشي، انظر: ١/ ٦ من تفسير ابن كثير، فقد رواه موقوفاً على ابن عباس، ورواه مرفوعاً إلى النبي ﷺ بسند لم يصح.

فمن غير المعقول أن يبين رسول الله ﷺ ألفاظ القرآن مما تفهمه العرب كالناقة والشجرة والكهف والكتاب، مما كان معلوماً لهم بالفطرة والبديهة، لأن بيان مثل هذا تحصيل حاصل، وصرف وقت بدون طائل، وفيه تكرار ممل يترفع عنه البليغ من العرب؛ فضلاً عن الرسول ﷺ؛ كما أنه لم يبين أو يفسر لهم الأمور الغيبية كحقائق يوم القيامة، والجنة والنار، مما لم يطلعه الله عليه، لأنه لو فعل - وحاشاه عن ذلك - لكان ادعاء بالباطل، وقولاً على الله بغير حق، ولأنزل الله به بأسه: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾[1]. فلم يبق مما يصلح للتفسير، ويجب بيانه إلا القسم الثالث مما ذكره ابن عباس؛ وهو مما يعلمه العلماء ويتفاوتون في فهمه، ولو كان فيه نص ما اختلفوا فيه، لاسيما أن القرآن نزل للناس كافة ليستفيد منه أهل كل زمان في زمنهم، يقول الرافعي[2]: لقد ثبت أن رسول الله ﷺ قبض ولم يفسر من القرآن إلا قليلاً جداً، وهذا وحده يجعل كل منصف يقول: أشهد أن محمداً رسول الله؛ إذ لو كان ﷺ فسر للعرب كل القرآن بما يحتمله زمنهم، وتطيقه أفهامهم لجمد القرآن جموداً تهدمه عليه الأزمنة والعصور بآلاتها ووسائلها، فإن كلام الرسول ﷺ نص قاطع، ولكنه ترك تاريخ الإنسانية يفسر كتاب الإنسانية. فتأمل حكمة ذلك السكوت، فهي

---

(١) الآيات: ٤٤ - ٤٦ من سورة الحاقة.

(٢) مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد الرافعي، أديب شاعر، ومن كبار الأدباء في العصر الحديث، يمتاز أسلوبه بالقوة والرصانة، ولد سنة ١٢٩٨هـ، وتوفي بطنطا عام ١٣٥٦هـ، له عدة مؤلفات، منها: إعجاز القرآن، وتاريخ آداب العرب، وتحت راية القرآن، ووحي القلم، وكتب الأستاذ محمد سعيد العريان مجلداً عن حياته.
انظر الأعلام للزركلي ٧/ ٢٣٥.

إعجاز لا يكابر فيه إلا من خلع مخه من رأسه[١].

ومما سبق يتبين أن الخلاف لفظي.

(١) ص ١١ من إعجاز القرآن.

(ب) التفسير في عهد الصحابة

لقد كان بعض الصحابة يتحرج من الاشتغال بتفسير القرآن مخافة أن يزل في تفسير آية، فينقل عنه زلله، ومن يتمعن طريقة تفسيرهم يجد أنهم اتخذوا ثلاث مراتب أساسية، هي:

١ ـ تفسير القرآن بالقرآن.

٢ ـ تفسير القرآن بسنة الرسول ﷺ من قول أو فعل أو تقرير.

٣ ـ الاجتهاد والاستنباط المبني على فصيح لغة العرب.

١ ـ **فتفسير القرآن بالقرآن**، هو أول المراتب، وأشرف أنواع التفسير، وأجلها؛ حيث لا أحد أعلم بكلامه منه سبحانه، والقرآن فيه مجمل ومبين، ومطلق ومقيد، وعام وخاص، وناسخ ومنسوخ، ونحو ذلك. ومن تفسير القرآن بالقرآن أن يحمل مجمله على مبينه، فيكتسب المجمل البيان، كقوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾[1]. فقد فسر هذه الكلمات بقوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾[2].

(١) الآية: ٣٧ من سورة البقرة.

(٢) الآية: ٢٣ من سورة الأعراف.

ويحمل المطلق من آياته على المقيد منها، كما في عتق الرقبة في الكفارة؛ حيث جاء لفظ (رقبة) في الظهار مطلقاً دون قيد، وفي القتل الخطأ قيدت بالإيمان ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ فيلزم في كفارة الظهار أن تكون الرقبة مؤمنةً، كما في كفارة القتل؛ سواء بسواءٍ.

٢ ـ **سنة الرسول** ﷺ، وهي المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم من حيث السند والمتن؛ أما وجوب العمل بما صح منها، فهو أصل في التشريع، كالقرآن إذ الكل وحي ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾[(١)]. ويقول الرسول ﷺ: (ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه. ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، ألا إن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله)[(٢)]. ولهذا كانت حياته ﷺ الترجمة الحية للقرآن الكريم، وكان الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ يرجعون إليه فيما أشكل عليهم من القرآن في حياته، وإلى سنته بعد وفاته. وقد حفظوها أي حفظ. روى مسلم عن طارق[(٣)] بن شهاب: أن اليهود قالوا لعمر بن الخطاب: إنكم تقرأون آية لو أنزلت فينا لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، فقال عمر: إني لأعلم حيث أنزلت، وأي يوم أنزلت، وأين رسول الله ﷺ حيث أنزلت، أنزلت بعرفة

(١) الآيتان: ٣، ٤ من سورة النجم.

(٢) رواه الترمذي في جامعه ٥/ ١٧، وأبو داود في سننه واللفظ للترمذي، وقال فيه: حديث حسن صحيح، وانظر عون المعبود ١٢/ ٣٥٤.

(٣) هو طارق بن شهاب بن عبد شمس بن هلال بن سلمة الكوفي، رأى النبي ﷺ، ولم يرو عنه، وروى عن الخلفاء الأربعة، وبلال، وحذيفة، وخالد بن الوليد، وغيرهم، وروى عنه إسماعيل بن أبي خالد، وقيس بن مسلم، وعلقمة بن مرشد، وآخرون، توفي سنة ٣٢هـ.
انظر ابن حجر: تهذيب التهذيب ٥/ ٤.

ورسول الله ﷺ واقف بعرفة[١]. وعن أبي هريرة[٢] ـ رضي الله عنه ـ في قوله تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾[٣]. قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: أرأيت: قوله: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ قال: فأين النار؟ قال: أرأيت الليل قد لبس كل شيء فأين النهار؟ قال: حيث شاء الله. قال: فكذلك النار حيث شاء الله[٤]. ورواه ابن جرير الطبري[٥] بثلاثة طرق عن أبي هريرة، قال: لقيت التنوخي رسول هرقل إلى رسول الله ﷺ بكتاب هرقل، فتناول الصحيفة رجل عن يساره، فلما ولى قال: من صاحبكم الذي

---

(١) متفق عليه، واللفظ لمسلم.
انظر صحيح مسلم بشرح النووي ١٨/ ١٥٢.

(٢) راوية الإسلام أبو هريرة الدوسي اليماني، كان اسمه في الجاهلية: عبد شمس، فسماه رسول الله ﷺ: أبا هريرة، وهو أكثر الصحابة رواية عن رسول الله ﷺ، دعا له رسول الله ﷺ أن يرزقه الله علماً لا ينسى، فكان لا ينسى شيئاً سمعه أو حفظه بعد ذلك، توفي ٥٨ أو ٥٩هـ وعمره (٧٨) سنة تقريباً.
انظر الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ٣٢، وابن حجر ٤/ ٢٠٢.

(٣) الآية: ١٣٣ من سورة آل عمران.

(٤) رواه البزار ورجاله رجال الصحيح.
انظر: ٦/ ٣٢٧ مجمع الزوائد، والحاكم في المستدرك ١/ ٣٦، وأخرجه ابن جرير مرفوعاً وموقوفاً عن عمر، وابن عباس، وفي السند المرفوع خالد بن مسلم الزنجي منكر الحديث.
انظر: ٤/ ٩٢ تفسير جامع البيان، ١٠/ ١٢٨ تهذيب التهذيب.

(٥) هو الإمام الحافظ أبو جعفر بن محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري، له مصنفات كثيرة، ولد سنة ٢٢٤هـ، ولما أراد أن يؤلف كتابه في التاريخ سأل تلاميذه: هل تنشطون بتاريخ العالم؟ قالوا: كم يجيء؟ فذكر نحواً من ثلاثين ألف ورقة، قالوا: هذا مما يفني الأعمار قبل تمامه، قال: تالله ماتت الهمم، فأملاه عليهم في نحو ثلاثين ألف ورقة، ولما أراد أن يؤلف كتابه في التفسير سألهم مثل ذلك، ثم أملاه على نحو من التاريخ، توفي سنة ٣١٠هـ.
انظر الذهبي: تذكرة الحفاظ ٢/ ٧١٠، وابن العماد شذرات الذهب ٢/ ٢٦٠.

يقرأ؟ قالوا: معاوية، فإذا هو: إنك كتبت تدعوني إلى جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين، فأين النار؟ فقال رسول الله ﷺ: (سبحان الله، فأين الليل إذا جاء النهار؟). وأخرجه الهيثمي[١] في موارد الظمآن عن أبي هريرة بلفظ: (جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد، أرأيت جنة عرضها السماوات والأرض، فأين النار؟ فقال ﷺ: أرأيت هذا الليل قد كان ثم لبس كل شيء أين جعل؟ قال: الله أعلم. قال: فإن الله يفعل ما يشاء)[٢].

وهذا الحديث وإن لم يصح سنده عن رسول الله ﷺ، فإن معناه صحيح. فهو من باب التفسير بالاجتهاد. وقال ابن كثير[٣]: وهذا يحتمل معنيين، أحدهما: أن يكون المعنى في ذلك أنه لا يلزم من عدم مشاهدتنا الليل إذا جاء النهار ألا يكون في مكان، وإن كنا لا نعلمه، وكذلك النار تكون حيث شاء الله عز وجل، وهذا أظهر. والثاني: أن يكون المعنى أن النهار إذا تغشى وجه العالم من هذا

---

(١) أبو الحسن علي بن أبي بكر الهيثمي الشافعي، ولد في رجب سنة ٧٣٥هـ وصحب زين الدين العراقي، وهو صغير، ولازمه فسمع منه وكتب عنه جميع مجالس إملائه، وصنف كتباً كثيرة في الحديث، أشهرها: مجمع الزوائد، وهو من أنفع ما ألف من كتب الحديث، توفي سنة ٨٠٧هـ.
انظر السيوطي: ذيل طبقات الحفاظ للذهبي ص ٣٧٢، وابن العماد: شذرات الذهب ٧/ ٧٠.

(٢) ص ٤٢٨ من موارد الظمآن، وفي سنده محمد بن إسحاق بن إبراهيم الأسدي، قال فيه البخاري: منكر الحديث، وقال ابن معين: كذاب، وقال الدارقطني: يضع الحديث.
انظر: ميزان الاعتدال ٣/ ٤٧٦.

(٣) الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الزرعي الدمشقي، ولد سنة ٧٠١هـ، له باع طويل في الحديث والتفسير والتاريخ، وأحد تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية، أوذي كثيراً بسبب فتواه باعتبار الطلاق واحدة، توفي سنة ٧٧٤هـ.
انظر: طبقات المفسرين للداودي ١/ ١٠١، وابن العماد: شذرات الذهب ٦/ ٢٣١.

الجانب، فإن الليل يكون من الجانب الآخر، فكذلك الجنة في أعلى عليين فوق السماوات تحت العرش، وعرضها ـ كما قال الله عز وجل ـ: ﴿كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾.. والنار في أسفل سافلين، فلا تنافي بين كونها كعرض السماوات والأرض، وبين وجود النار»[١].

٣ ـ اجتهاد الصحابة:

إذا عدم الصحابة تفسير الآية بمثلها أو بحديث صحيح عن الرسول ﷺ، لجأوا إلى الاجتهاد معتمدين على مفهوم اللغة وقرائن الحال، فهذا ابن عباس جلس عند زمزم وقد تحلق حوله جماعة من الناس يسألونه عن التفسير: ما تقول في تفسير كذا وكذا؟ فيجيبهم عما سألوه عنه، فيقول له نافع بن الأزرق: ما أجرأك يا بن عباس على ما تخبر به منذ اليوم؟! فقال له ابن عباس: ثكلتك أمك يا نافع[٢]، ألا أخبرك من هو أجرأ مني، قال: من هو؟ قال: رجل تكلم بما ليس له به علم أو كتم علماً عنده، فسأله عن أكثر من ثلاثين آية من القرآن، فأجابه عنها مستشهداً على كل آية ببيت أو أبيات من أشعار العرب، ذكرها الإمام الهيثمي في مجمع الزوائد[٣].

---

(١) ١/ ٤٠٤ تفسير ابن كثير. قلت: الرأي الثاني أقرب عندي من الأول لتكور الأفلاك، ومنها: السماء، والله أعلم.

(٢) هو نافع بن الأزرق الحروري، نسبة إلى (حروراء) بأرض العراق، وهو أحد رؤوس الخوارج، وإليه تنسب طائفة الأزارقة، خرج بالفتنة في آخر دولة يزيد بن معاوية، توفي سنة ٦٥هـ.
انظر ابن حجر: لسان الميزان ٦/ ١٤٤، والزركلي: الأعلام ١/ ٣٥١.

(٣) رواية الهيثمي ٦/ ٣٠٣ في مجمع الزوائد عن الضحاك بن مزاحم، ولم يلق ابن عباس، وضعفه يحيى بن سعيد القطان.
انظر: ٤/ ٤٥٤ من تهذيب التهذيب.

وعن أبي جحيفة[١] ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: «قلت لعلي بن أبي طالب: هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله؟ قال: لا. والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أعلمه إلا فهماً يعطيه الله رجلاً في القرآن، وما في هذه الصحيفة. قلت: وما في هذه الصحيفة؟ قال: العقل، وفكاك الأسير، وأن لا يقتل مسلم بكافر»[٢].

وحديث معاذ بن جبل[٣] لما أرسله النبي ﷺ إلى اليمن قاضياً، قال له: (بم تحكم؟ قال: بكتاب الله. قال: فإن لم تجد؟ قال: بسنة رسول الله. قال: فإن لم تجد؟ قال: أجتهد رأيي، ولا آلو. قال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يحبه الله ورسوله)[٤].

«ويجمع بين الآيات التي يتوهم أنها متعارضة بحمل كل آية على ما يقتضيه السياق العام، كالآيات التي جاءت في خلق آدم من تراب في قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن

(١) اسمه وهب بن عبد الله السوائي، يقال له: وهب الخير، مات النبي ﷺ ولم يبلغ الحلم، وتولى إمرة الشرطة في عهد علي بن أبي طالب، توفي سنة ٧٤هـ.
انظر ابن حجر: تهذيب التهذيب ١١/ ١٦٤.

(٢) رواه البخاري ٦/ ١٦٧ من فتح الباري.

(٣) أبو أوس معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الخزرجي الأنصاري، شهد العقبة، وهو ابن ثماني عشرة سنة، وبعثه النبي ﷺ إلى اليمن قاضياً وداعياً، استشهد ـ رضي الله عنه ـ بمرض الطاعون بالشام سنة ١٨هـ وله من العمر خمس وثلاثون سنة.
انظر الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ١٩، وابن حجر ٢/ ٤٢٦.

(٤) ٣/ ٦١٦ من جامع الترمذي، وقال فيه الترمذي: هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وليس إسناده عندي بمتصل، وقد تفرد به أبو عون عن الحارث بن عمرو، وفيه مقال.
انظر توجيه ابن القيم لقبوله بهذا الإسناد. في إعلام الموقعين ١/ ٢٠٢، وانظر ٩/ ٥٠٩ من عون المعبود.

تُرَابٍ ﴾ الآية[١]. ومن طين في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ﴾ الآية[٢]. ومن حمأ مسنون في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾﴾[٣]. ومن صلصال كالفخار في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾﴾[٤]. فهذه الآيات وأمثالها تبين الأطوار التي مر بها خلق آدم من تراب ثم من طين لازب، ثم خمر الطين فصار حمأً مسنوناً ذا رائحة، ثم يبس فصار صلصالاً يدوي به الصوت كالفخار، ثم تفتحت فيه الروح فصار بشراً سوياً ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾[٥]. وقال الإمام أحمد: خلق الله (آدم) أول بدئه من تراب، ثم من طينة حمراء وسوداء وبيضاء من طينة طيبة وسبخة، فكذلك ذريته طيب وخبيث، وأسود وأحمر، وأبيض، ثم بلَّ ذلك التراب فصار طيناً، فذلك قوله تعالى: ﴿مِّن طِينٍ ﴾ فلما لصق الطين بعضه ببعض صار طيناً لازباً، يعني: لاصقاً، ثم قال: ﴿مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ يقول: مثل الطين إذا عصر انسل من بين الأصابع ثم نتن فصار حمأً مسنوناً، فخلق من الحمأ، فلما جف صار صلصالاً كالفخار يقول: صار له صلصلة كصلصلة الفخار له دوي كدوي الفخار، فهذا بيان خلق آدم»[٦].

---

(١) تفسير ابن كثير ١/٤٠٤، الآية: ٥٩ من سورة آل عمران.

(٢) الآية: ٢ من سورة الأنعام.

(٣) الآية: ٢٦ من سورة الحجر.

(٤) الآية: ١٤ من سورة الرحمن.

(٥) الآية: ٢٩ من سورة الحجر.

(٦) ص ١/٦ الرد على الجهمية فيما شكوا فيه من تشبيه القرآن. مطبوع في شذرات البلاتين، بتحقيق: حامد الفقي.

والمتتبع لتاريخ الصحابة في القرن الأول يجد أن منهم من كان يشتغل بتفسير القرآن وجمعه وتدوينه، ومن أشهر هؤلاء:

عبد الله بن عباس[١]: ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، وتوفي سنة ٦٨هـ بالطائف، وهو من أكثر الصحابة علماً وفقهاً ببركة دعوة الرسول ﷺ له بأن يفقهه الله في الدين، ويعلمه التأويل، وحج بالناس في عهد علي بن أبي طالب[٢]، فخطب خطبة بليغة، ثم قرأ عليهم سورة النور، فجعل يفسرها، وكان يحض على قراءة القرآن وتفسيره، وكان تلاميذه كسعيد بن جبير، ومجاهد، والضحاك[٣]، وعطاء[٤]، يدونون تفسيره في ألواحهم، وقد ذكر موسى بن عقبة[٥] أن كريب بن

---

(١) انظر: ترجمته في ١/ ٤٠ من تذكرة الحفاظ، والإصابة ١/ ٣٠٣، والاستيعاب ١/ ٢٥٠.

(٢) أبو الحسن الخليفة الراشد، وابن عم رسول الله ﷺ، وزوج ابنته فاطمة، وأول من أسلم من الصبيان، استشهد في السابع عشر من رمضان سنة ٤٠هـ وله من العمر ستون عاماً.
انظر الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ١٥، وابن حجر: الإصابة ٢/ ٥٠٧.

(٣) أبو القاسم الضحاك بن مزاحم البلخي الخراساني، أحد علماء التابعين في التفسير، كان يؤدب الأطفال، ويعلمهم، قيل: إنه بلغ عددهم في مدرسته ثلاثة آلاف صبي، كان يطوف عليهم على حمار، توفي سنة ١٠٢هـ.
انظر ابن العماد: شذرات الذهب ١/ ١٥٤، البكري: تاريخ الخميس ٢/ ٣١٨.

(٤) عطاء بن أبي رباح القرشي، مولاهم، المكي، أحد المولدين من التابعين، ولد في خلافة عثمان، كان فقيهاً تقياً ورعاً، أخذ العلم عن عائشة وأبي هريرة، وابن عباس، وكان أسود الشعر، مفلفلاً، تولى القضاء في عهد عبد الملك بن مروان، وتوفي سنة ١٠٣هـ.
انظر الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ٩٨، وابن العماد: شذرات الذهب ١/ ١٢٥.

(٥) هو الإمام موسى بن عقبة الأسدي المدني من آل الزبير بن العوام له كتاب في المغازي، كان عالماً ثبتاً، قال فيه الإمام أحمد: عليكم بمغازي موسى بن عقبة، فإنه ثقة، روى عن ابن جريج، وسفيان بن عيينة، توفي سنة ١٤١هـ.
انظر الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ١٤٨، وابن العماد: شذرات الذهب ١/ ٢٠٩.

مسلم[١] ـ تلميذ ابن عباس ـ قد حفظ حمل بعير من مؤلفات أستاذه، وكان علي بن عبد الله بن عباس يكتب لموسى بن عقبة بين وقت وآخر يطلب منه أن يرسل إليه (صحيفة) من كتب أبيه لينسخها ثم يردها إليه[٢]. وذكر عن مجاهد: أنه كتب عن ابن عباس تفسير القرآن كاملاً، وقال الإمام أحمد بمصر صحيفة في التفسير رواها علي بن أبي طلحة[٣] لو رحل رجل فيها إلى مصر قاصداً ما كان كثيراً[٤]. وهذه الصحيفة هي التي يروي منها البخاري في صحيحه تعليقاً.

تفسيره: ورد في التفسير عن ابن عباس روايات وطرق كثيرة، منها: الضعيف[٥] والجيد، ومن أشهرها:

١ ـ رواية علي بن أبي طلحة الهاشمي عن ابن عباس، وهذه الرواية قبلها الإمام أحمد وأثنى عليها، واعتمد عليها البخاري[٦] فيما

---

(١) هو أبو راشد كريب بن أبي مسلم الهاشمي، مولى ابن عباس، روى عنه، وعن عائشة، وميمونة بنت الحارث، وأم سلمة، كان ثقة ثبتاً، أخرج له أصحاب الكتب الستة، توفي بالمدينة سنة ٩٨هـ في آخر خلافة سليمان بن عبد الملك.
انظر ابن حجر: تهذيب التهذيب ٨/ ٤٣٣، وابن العماد: شذرات الذهب ١/ ١١٤.

(٢) انظر: ١/ ٧٠ من كتاب تاريخ التراث العربي.

(٣) أبو الحسن علي بن أبي طلحة بن سالم بن المخارق الهاشمي، روى عن ابن عباس ولم يسمع التفسير منه، وإنما سمعه من مجاهد، كان يتشيع لأهل البيت كثيراً، وأهل الحديث لا يعجبهم مذهبه، لأنه يرى السيف، أي: الخروج، توفي سنة ١٤٣هـ.
انظر ابن حجر: تهذيب التهذيب ٧/ ٣٣٩.

(٤) ٢/ ١٨٨ من الإتقان.

(٥) ٢/ ١٨٨ من الإتقان.

(٦) أمير المؤمنين في الحديث الحافظ الحجة أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، صاحب الصحيح الذي هو أصح الكتب بعد كتاب الله، وتلقته الأمة بالقبول، ولد سنة ١٩٤هـ، وسمع الحديث وهو ابن إحدى عشرة سنة، وسمع من=

يعلقه عن ابن عباس وأخرج منها ابن جرير، وابن أبي حاتم[١] كثيراً، وما قيل أن علي بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس لا يقدح فيها؛ لا سيما بعد أن عرفت الواسطة، وهو مجاهد بن جبر، وهو ثقة.

٢ ـ رواية قيس[٢] عن عطاء[٣] بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، وهذه اعتمدها الحاكم[٤] في مستدركه على الصحيحين.

٣ ـ رواية الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس، وهذه منقطعة، فالضحاك لم يلقه، فإن انضم إليها رواية بشر بن عمارة[٥] عن أبي روق

= أحمد بن حنبل، وخلائق عدتهم ألف شيخ، توفي ـ رحمه الله ـ ليلة عيد الفطر سنة ٢٥٦هـ.
انظر الذهبي: تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٥٥، وابن العماد: شذرات الذهب ٢/ ١٣٤.

(١) اسمه عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي الحافظ، ولد سنة ٢٤٠هـ، عالم ثقة، بصير بأحوال الرجال، له تصانيف كثيرة، منها: الجرح والتعديل، التفسير الكبير، توفي سنة ٣٢٧هـ، وله سبع وثمانون سنة.
انظر الذهبي: تذكرة الحفاظ ٣/ ٨٢٩، وابن حجر: لسان الميزان ٣/ ١٣٢.

(٢) أبو عبد الله قيس بن أبي حازم الأحمسي البجلي الكوفي المحدث، سار إلى النبي ﷺ ليبايعه، فتوفي النبي ﷺ وهو في الطريق، ضعّفه جماعة من أهل الحديث، وآخرون، توفي سنة ٩٧هـ، وقيل: ٩٨هـ.
انظر الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ٦١، وابن العماد: شذرات الذهب ١/ ١١٢.

(٣) هو عطاء بن السائب بن مالك الكوفي، من علماء التابعين، اختلف أهل الحديث في توثيقه لأنه اختلط بآخره، وتوفي سنة ١٣٦هـ.
انظر ابن حجر: تهذيب التهذيب ٧/ ٢٠٣، وابن العماد ١/ ١٩٤.

(٤) الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدون النيسابوري، صاحب المستدرك على الصحيحين، ولد سنة ٣٢١هـ. له تصانيف في العلل والتراجم والتاريخ، وتوفي سنة ٤٠٥هـ.
انظر الذهبي: تذكرة الحفاظ ٣/ ١٣٩، وابن العماد: شذرات الذهب ٣/ ١٧٦.

(٥) هو بشر بن عمارة الخشعمي الكوفي، من أتباع التابعين، ضعفه علماء الحديث.
انظر ابن حجر: تهذيب التهذيب ١/ ٤٥٥.

عن ابن عباس تصبح ضعيفة لضعف بشر، وقد أكثر الأخذ بها ابن جرير، وابن أبي حاتم. وإن كان من رواية جويبر عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس فهي أشد ضعفاً، لأن جويبراً[١] شديد الضعف متروك. ولم يخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم في تفسيرهما منها شيئاً.

٤ ـ وأوهى الطرق عن ابن عباس رواية الكلبي[٢] عن أبي صالح[٣]، عن ابن عباس، فإن انضم إليها رواية محمد بن مروان السدي[٤] الصغير، فهي سلسلة الكذب، وكثيراً ما يروي منها الثعلبي[٥] والواحدي[٦] في تفسيريهما.

---

(١) هو أبو القاسم البلخي جابر بن سعيد الأزدي، وجويبر لقبه، روى عنه عبد الله بن المبارك، والثوري، وحماد بن زيد. قال ابن حجر: توفي ما بين الأربعين والخمسين.
انظر ابن حجر: تهذيب التهذيب ٢/ ١٢٥.

(٢) هو أبو النضر محمد بن السائب بن بشر بن عمرو الكلبي، له معرفة بالأنساب، اتفق العلماء على ضعفه، ورماه بعضهم بالكذب، توفي سنة ٤٦هـ.
انظر ابن حجر: تهذيب التهذيب ٩/ ١٧٨.

(٣) اسمه باذان مولى أم هانئ بنت أبي طالب، روى عن ابن عباس ولم يسمع منه، وروى عنه الكلبي في التفسير وهو ضعيف لا يحتج به.
انظر ابن حجر: تهذيب التهذيب ١/ ٤١٦.

(٤) اسمه محمد بن مروان بن عبد الله الكوفي المعروف بالسدي الصغير، روى عن الأعمش ويحيى بن سعيد الأنصاري، وروى عنه ابنه علي والأصمعي، وهو كذاب متروك الحديث.
انظر ابن حجر: تهذيب التهذيب ٩/ ٩٣٦.

(٥) هو أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق النيسابوري الثعلبي، صاحب التفسير المشهور، وقد حشاه بالقصص والروايات الإسرائيلية، توفي سنة ٢٢٧هـ.
انظر السيوطي: طبقات المفسرين ص ٢٨، وابن العماد: شذرات الذهب ٣/ ٢٣٠.

(٦) اسمه علي بن أحمد بن علي أبو الحسن الواحدي، لازم الثعلبي المفسر، وأخذ عنه. له مصنفات في التفسير واللغة والتاريخ، وكتابه: «أسباب نزول القرآن الكريم» مطبوع ومتداول. توفي سنة ٤٦٨هـ.
انظر السبكي: طبقات الشافعية ٣/ ٢٨٩، والسيوطي: طبقات المفسرين ص ٧٨.

تنوير المقباس من تفسير ابن عباس

هذا الكتاب المنسوب إلى ابن عباس والمسمى بهذا الاسم جمعه مجد الدين الفيروزآبادي[١] صاحب القاموس (ت ٨١٧هـ) وقد تتبعت إسناده سورة سورة، فوجدته كله من رواية السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح، وهي سلسلة الكذب، وأوهى الطرق وأضعفها عن ابن عباس عند علماء الجرح والتعديل[٢]، لأن السدي الصغير كذاب يضع الحديث، قال فيه ابن معين[٣]: ليس بثقة، وقال ابن نمير[٤]: ليس بشيء، وقال أبو حاتم: ذاهب الحديث متروك لا يكتب

(١) هو محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الفيروزآبادي اللغوي الشافعي صاحب القاموس المحيط، ولد سنة ٧٢٩هـ، أخذ عنه الصفدي وابن عقيل والأسنوي، توفي سنة ٨١٧هـ.
انظر الشوكاني: البدر الطالع ٢/ ٢٨٠، وابن العماد: شذرات الذهب ٧/ ١٢٦.

(٢) انظر ٩/ ٤٣٦، ١٧٩ من تهذيب التهذيب.

(٣) أبو زكريا يحيى بن معين بن عون بن زياد البغدادي، إمام الجرح والتعديل، عالم ثقة، ثبت، حافظ، قال عنه الإمام أحمد بن حنبل: كل حديث لا يعرفه يحيى بن معين فليس بحديث، ولد سنة ١٥٨هـ، وتوفي بالمدينة سنة ٢٣٣هـ، وله قرابة سبع وسبعين سنة.
انظر ابن حجر: تهذيب التهذيب ١١/ ٢٨٠، وابن العماد: شذرات الذهب ٢/ ٧٩.

(٤) أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الله بن نمير الهمداني الكوفي، روى عنه البخاري ومسلم، وأبو داود، وابن ماجه مباشرة، وروى عنه الترمذي، والنسائي بواسطة البخاري، أحد علماء الجرح والتعديل، توفي سنة ٢٣٤هـ. =

حديثه؛ أما الكلبي فهو كذاب ذاهب الحديث، قال فيه ابن حبان[١]: وضوح الكذب فيه أظهر من أن يحتاج إلى الاعتراف في وضعه، وقد روي عنه أنه قال عن نفسه: ما حدثته عن أبي صالح عن ابن عباس، فهو كذب؛ كما أن أبا صالح لم يسمع من ابن عباس. فتبين أن سند هذا التفسير المنسوب إلى ابن عباس ساقط لا يحتج به، لضعف محمد بن مروان (السدي الصغير) ومحمد بن السائب (الكلبي) ولانقطاعه، فأبو صالح لم يسمع من ابن عباس، وكل واحدة من هذه العلل الثلاث كافية بمفردها لرده بهذا الإسناد، وعدم الأخذ به، فكيف بها مجتمعة؟ غير أن هذا لا يعني أن كل ما جاء فيه لا يعتبر، أو أنه لم يقله ابن عباس، فقد جاء كثير منه بطرق أخرى صحيحة ومعتبرة، وما روي عن الشافعي[٢] أنه قال: إنه لم يثبت عن ابن عباس في التفسير إلا شبيه بمائة حديث[٣]. يحمل على الأحاديث المرفوعة إلى الرسول ﷺ؛ أما ما كان موقوفاً وحكمه الرفع ـ مما لا

= انظر ابن حجر: تهذيب التهذيب ٩/ ٢٨٢، وابن العماد: شذرات الذهب ٢/ ٨١.

(١) هو أبو حاتم محمد بن حبان الشافعي البستي ـ نسبة إلى بست ـ بلدة من بلاد خراسان، وصاحب التصانيف المفيدة، ألف في الصحيح والضعفاء، سمع من النسائي، وأبي خليفة الجمحي، وسمع منه الحاكم النيسابوري، ويقدم بعض أهل الحديث صحيحه على سنن ابن ماجه، توفي سنة ٣٥٤هـ.
انظر السبكي: طبقات الشافعية ٢/ ١٤١، وابن العماد: شذرات الذهب ٣/ ١٦.

(٢) هو الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع القرشي، أحد الأئمة الأربعة، وصاحب كتاب الرسالة، أول مصنف عرف في أصول الفقه، ولد سنة ١٥٠هـ، أخذ العلم عن مالك بن أنس، وخالد بن مسلم الزنجي، وأذن له بالافتاء، وهو ابن خمس عشرة سنة، وكان ورعاً تقياً متوقد الذكاء، قال: وددت لو أخذ عني هذا العلم من غير أن ينسب إلي منه شيء، توفي سنة ٢٠٤هـ.
انظر الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ٣٦٣، والسبكي: طبقات الشافعية ١/ ١٠٠.

(٣) ٢/ ١٨٩ من الإتقان.

مجال للرأي فيه ـ أو كان تفسيراً منه لآية أو إعراب لفظة، فلا يتناوله كلام الشافعي. وكتب التفسير، والحديث أكبر شاهد لهذا. والله أعلم.

التفسير في القرنين الثاني والثالث

روى التابعون عن الصحابة مروياتهم في التفسير واجتهاداتهم، ودونوها عندهم في أجزاء خاصة، كانت عمدة من جاء بعدهم، فرووها عنهم. ومعلوم أن التفسير في عهد الصحابة والتابعين وأتباعهم لم تفصل عن رواية الحديث، ولم يكن له تدوين مستقل قبل تدوين الحديث، اللهم إلا أجزاءً خاصةً في آية أو كشف غريب لفظ مما عرف بعد ذلك بإعراب القرآن وغريبه ومشكله.

حتى جاء الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه[1] في بداية القرن الثاني ونهاية القرن الأول فأمر بكتابة الحديث وتدوينه دون التفسير معه. وبقيت الحال على هذا حتى نشط التدوين في القرن الثالث، وما بعده، فدونت السنة، وخصص العلماء في مؤلفاتهم أبواباً وكتباً خاصةً باسم (كتاب التفسير) يساق التفسير فيها غير مرتب، حتى جاء ابن جرير الطبري (٢٢٤ ـ ٣١٠هـ) فلم شتات ما ألف من قبله

(١) الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي، أحد العلماء المجتهدين في عصر التابعين، ولد سنة ٦٦هـ، وتولى الخلافة سنة ٩٩هـ، وكان عالماً ورعاً عابداً قال عنه أنس بن مالك: ما رأيت أحداً أشبه صلاة برسول الله ﷺ من هذا الفتى، ألف ابن عبد الحكم في سيرته مجلداً، توفي سنة ١٠١هـ.
انظر الذهبي: سير أعلام النبلاء ٥/١١٤، وابن العماد: شذرات الذهب ١/١١٩.

وجمعه في كتابه (جامع البيان عن تأويل القرآن).

ومن أشهر المؤلفين في هذه الفترة:

١ ـ **مجاهد بن جبر**: هو الإمام مجاهد بن جبر المكي، تلميذ ابن عباس، ولد سنة ٢١هـ، وتوفي سنة ١٠٤هـ، كان شديد الملازمة لابن عباس حتى أخذ عنه تفسير القرآن، روي عنه أنه قال: عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث مرات أوقفه عند كل آية، وأسأله فيم أنزلت، وكيف أنزلت؟. ويعتبر مجاهد أول من فسر القرآن بالدراية أو الرأي، فقد قال[١] في تفسير قوله تعالى: ﴿... كُونُوا قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾[٢]: لم يمسخوا قردة، ولكنه كقوله تعالى: ﴿... كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ...﴾ الآية[٣]. وروى عنه الطبري في تفسير هذه الآية قوله: لم يمسخوا، وإنما هو مثل ضربه الله لهم مثل ما ضرب مثل الحمار يحمل أسفاراً، وفي رواية: مسخت قلوبهم ولم يمسخوا قردة[٤]. وروي عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾[٥]. قال: مسرورة من السرور (النعمة والغبطة) وفي قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾[٦]. قال: تنتظر الثواب من ربها، وتنتظر فضله ورزقه[٧]، وتفسير مجاهد لقوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾: بانتظار الثواب والفضل من الله يتضمن نفي رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، وهذا

---

(١) ١/ ٧٧ من تفسير مجاهد، تحقيق: السورتي.
(٢) الآية: ٦٥ من سورة البقرة.
(٣) الآية: ٥ من سورة الجمعة.
(٤) ١/ ٣٣٢ تفسير جامع البيان عن تأويل القرآن.
(٥) الآية: ٢٢ من سورة القيامة.
(٦) الآية: ٢٣ من سورة القيامة.
(٧) انظر: ٢٩/ ١٩٢ تفسير الطبري ٢/ ٧٠٨ من تفسير مجاهد.

التفسير هو عين تفسير المعتزلة للآية لما نفوا الرؤية يوم القيامة بدعوى تنزيه الله عن مشابهة المخلوقين، اعتماداً على طريقتهم في تقديم العقل على النقل في تفسير النصوص، وتفسير مجاهد وما ادعته المعتزلة في نفي الرؤية قول باطل، فقد ثبت في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: (أن الناس قالوا: يا رسول الله: هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله. قال: هل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا. قال: فإنكم ترونه كذلك)[١].

وقد أجمع السلف على أن الزيادة في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ الآية[٢]. هي النظر إلى وجه الله تعالى يوم القيامة، وفي قوله تعالى ـ في وصف حال الكفار يوم القيامة ـ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾[٣]. دليل على أن المؤمنين يرونه حين يحجب عن رؤية الكفار، ولا معنى للآية إلا هذا. والله أعلم.

وتفسير مجاهد مطبوع ـ اليوم ـ في مجلدين بتحقيق: عبد الرحمن السورتي[٤] وقد أورده ابن جرير الطبري في تفسيره بأكثر من طريق، وفيه زيادات لم يذكرها جامع تفسير مجاهد المطبوع، والذي بين أيدينا اليوم.

---

(١) رواه البخاري وأهل السنن واللفظ للبخاري.
انظر فتح الباري ٢/ ٢٩٢.

(٢) الآية: ٢٦ من سورة يونس.

(٣) الآية: ١٥ من سورة المطففين.

(٤) هو عبد الرحمن بن الطاهر بن محمد السورتي، لا زال حياً يرزق، يعمل في مجمع البحوث الإسلامية في إسلام أباد بباكستان، وقد نشر كتابه هذا على حساب حكومة قطر.

٢ ـ **سعيد بن جبير**: هو سعيد بن جبير الأسدي الكوفي، أحد تلاميذ ابن عباس، ولد سنة ٤٥هـ، ومن أشهر المفسرين للقرآن من التابعين، اشترك في ثورة ابن الأشعث[١]، وظفر به الحجاج[٢] فقتله صبراً سنة ٩٥ هـ، ذكر ابن سعد[٣] أنه فسر القرآن[٤] كله، وكان يتعاهد ما كتبه من التفسير بالتعديل والتهذيب، غير أنه لم يصلنا مجموعاً؛ بل كل ما لدينا منه ما ذكر ابن جرير الطبري في تفسيره عنه، وكان سبب تأليفه[٥] لتفسير القرآن؛ أن الخليفة عبد الملك[٦]

---

(١) هو عبد الرحمن بن الأشعث بن قيس، خرج على طاعة الحجاج واستولى على عدة بلاد كجستان والبصرة والكوفة، وفي آخر يوم من معركة «دير الجماجم» التي طالت مدتها أكثر من مائة يوم، هزم وهرب إلى أردبيل، فقتله حاكمها، وسلم رأسه إلى الحجاج؛ وذلك سنة ٨٥هـ.
انظر ابن كثير: البداية والنهاية ٩/ ٤٥.

(٢) أبو محمد الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي، أحد دهاة العرب وسفاكي الدماء، من أشهر قواد بني أمية، ولد بالطائف سنة ٤٠هـ، وأسس مدينة واسط بين الكوفة والبصرة، قال فيه الذهبي: له حسنات غمرتها ذنوبه، وأمره إلى الله، توفي بواسط سنة ٩٥هـ.
انظر ابن كثير: البداية والنهاية ٩/ ١٣١، وابن حجر: لسان الميزان ٢/ ١٨٠.

(٣) هو الحافظ محمد بن سعد مولى بني حاتم، كاتب الواقدي، مصنف الطبقات الكبرى، أخذ العلم عن هيثم وسفيان بن عيينة، ولد سنة ١٦٨هـ، وتوفي سنة ٢٣٠هـ.
انظر الذهبي: تذكرة الحفاظ ٢/ ٤٢٥، وابن العماد: شذرات الذهب ٢/ ٩٢.

(٤) انظر: ٦/ ٢٦٦ من الطبقات الكبرى.

(٥) انظر: ١/ ١٤٤ من كتاب «التفسير والمفسرون».

(٦) أبو الوليد عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، نشأ في المدينة واستعمله معاوية والياً عليها وسنه ست عشرة سنة، وانتقلت إليه الخلافة بموت أبيه سنة ٦٥هـ، ويعتبر هو أول من سك النقود، ونقش الدراهم بالعربية، وتوفي سنة ٨٦هـ.
انظر البغدادي: تاريخ بغداد ١٠/ ٣٨٨، وابن العماد: شذرات الذهب ١/ ٩٧.

طلب منه ذلك فأجابه سعيد، فوجده عطاء[١] بن دينار بالديوان، فأخذه، وتوفي عبد الملك بن مروان سنة ٨٦هـ، فيكون قد ألف التفسير قبل هذا التاريخ. ويعد سعيد بن جبير من أجل التابعين المفسرين بالأثر، وينقل عن ابن عباس كثيراً؛ سواء منه ما فسره بالآثر أو بالرأي، ويوجد تفسيره مبثوثاً في تفسير الطبري، وقليلاً[٢] ما يكون له رأي أو تفسير مستقل به، كما في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾﴾[٣].

٣ ـ مقاتل بن سليمان: هو أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي عاش ببغداد، وتوفي بالبصرة سنة **٩٥**هـ تكلم فيه علماء الحديث ولم يرضوه، قال سفيان الثوري: سمعت مقاتلاً يقول: إن لم يخرج الدجال في سنة خمسين ومائة فاعلموا أني كذاب، وكان لا يضبط الإسناد، وحديثه ليس بشيء، قال فيه ابن المبارك: ما أحسن تفسيره لو كان ثقة! قال فيه النسائي: كذاب، وقال أبو حاتم: متروك الحديث، وقال ابن معين: ليس بشيء، وقال فيه البخاري: منكر الحديث، وفي موضع آخر: ليس بشيء البتة.

وكان مقاتل بن سليمان جريئاً يروي بلا سند، استند إلى الكعبة ذات مرة، وقال: سلوني عما دون العرش، فقام رجل فقال: أخبرني عن النملة، أين أمعاؤها؟ فسكت[٤].

---

(١) أبو الزيات عطاء بن دينار الهذلي، روى عن سعيد بن جبير، وقيل: لم يسمع منه، والحكم بن شريك الهذلي، وأبي يزيد الخولاني، وروى عنه: عمر بن الحارث، وحيوة بن شريح، وابن لهيعة، وهو ثقة معروف، توفي سنة ١٢٦هـ.
انظر ابن حجر: تهذيب التهذيب ٧/ ١٩٨.

(٢) انظر: ص ١٩٥، ٣٣٨، ٣٩٩، وما بعدها من تفسير الطبري الجزء الأول.

(٣) الآية: ٧٨ من سورة البقرة.

(٤) انظر: ٢/ ١٧٣ من كتاب ميزان الاعتدال، وتهذيب التهذيب ١٠/ ٢٧٩.

ولهذا قال ابن المبارك ـ لما نظر في تفسيره ـ: يا له من علم لو كان له إسناد.

ويوجد في تركيا عدة نسخ مخطوطة[١] من تفسيره، وحجمه يزيد على خمسمائة ورقة، وطبع كتاب «الأشباه والنظائر في القرآن الكريم» لأول مرة في القاهرة عام ١٩٧٥م، بتحقيق عبد الله محمود شحاتة[٢].

٤ ـ **يحيى بن سلام**: أبو زكريا يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة التميمي، البصري، ولد بالكوفة سنة ١٢٤هـ، ونشأ بالبصرة، ورحل إلى أفريقية، كان أعلم زمانه بالتفسير، توفي بمكة بعد أن قضى حجته سنة ٢٠٠هـ[٣].

تفسيره يقع في ثلاثة مجلدات كبار، توجد كلها مخطوطة بتونس، يوجد الأول منها بجامع الزيتونة، والمجلد الثاني بجامع العبدلي، والثالث: عند أحد علمائها[٤]. وطريقته: أنه يورد الأخبار مسندة ثم يتعقبها بالنقد والاختبار معتمداً على المعنى اللغوي والإعرابي.

٥ ـ **عبد الرزاق الصنعاني**: هو عبد الرزاق بن همام الصنعاني، صاحب المصنف في الحديث، ولد سنة ١٢٦هـ ورحل إلى الحجاز والشام، وروى عن معمر بن راشد، ومالك، والأوزاعي،

---

(١) انظر: ١/ ٦٥ تاريخ التراث العربي.

(٢) حصل على الدكتوراه بتحقيق تفسير مقاتل، وطبعه على الآلة الكاتبة في أربعة مجلدات.

(٣) ٦/ ٢٥٩ لسان الميزان.

(٤) ص ٢٧ من كتاب التفسير ورجاله.

والسفيانين، وكف بصره في آخر حياته، وفيه بعض تشيع[١]، توفي سنة ٢٢١هـ يوجد تفسيره مخطوطاً[٢] في تركيا ومصر وحجمه يزيد على (١٧٨) ورقة، وهو لا يعدو أن يكون تهذيباً واختصاراً لتفسير أستاذه معمر بن راشد، وتفسير عبد الرزاق هذا قد وصل إلينا عن طريق تفسير ابن جرير الطبري بسنده عن الحسن بن يحيى[٣] بن الجعد عن عبد الرزاق، وتفسيره هذا عن معمر بن راشد[٤] عن قتادة، وما يرويه عن شيخه معمر عن قتادة منه ما هو تفسير بالأثر، وما هو تفسير بالرأي[٥]. روى ابن جرير بسنده عن عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر عن قتادة: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾[٦]: هي لا إله إلا الله، أضاءت لهم فأكلوا وشربوا وآمنوا في الدنيا، ونكحوا النساء، وحقنوا بها دماءهم حتى إذا ماتوا ذهب الله بنورهم، وتركهم في ظلمات لا يبصرون، وروي عن ابن عباس، وابن مسعود، وجمع من

---

(١) انظر: ٦/ ٣١٢ من تهذيب التهذيب.

(٢) انظر: ١/ ١٤٥ تاريخ التراث العربي.

(٣) أبو علي الحسن بن يحيى بن الجعد بن أبي الربيع الجرجاني، ولد ببغداد، روى عن عبد الرزاق ووهب بن جرير وأبي حاتم، وغيرهم، وروى عنه ابن ماجه، وابن أبي الدنيا، وابن أبي حاتم، وهو ثقة صدوق، توفي سنة ٢٦٣هـ وله من العمر ٨٣ سنة.
انظر ابن حجر: تهذيب التهذيب ٢/ ٣٤٢.

(٤) أبو عروة معمر بن راشد أحد الأعلام الثقات قال عبد الرزاق الصنعاني كتبت عن معمر عشرة آلاف حديث وقال فيه الإمام أحمد: ليس يضم إلى معمر أحد إلا وجدته فوقه. روى له أصحاب الكتب الستة توفي سنة ١٥٣ من الهجرة.
يراجع في ترجمته: تذكرة الحفاظ ١/ ١٩٠ وشذرات الذهب ١/ ٢٣٥.

(٥) انظر: صفحات الجزء الأول من تفسير الطبري مثل: ١٤٢، ١٥٦، ١٦٤، ١٩٤، ٢١٧، ٢٤٤، وغيرها.

(٦) الآية: ١٧ من سورة البقرة.

الصحابة أن هذا في المنافق كان في ظلمة الشرك فأسلم فعرف الحلال والحرام والخير والشر، فبينا هو كذلك إذ كفر فصار لا يعرف الحلال من الحرام، ولا الخير من الشر.

موجز اتجاهات التفسير العامة

كان التفسير في عهد الصحابة والتابعين يعتمد على الرواية والاستنباط، فالصحابة يروون عن رسول الله ﷺ بيان كتاب الله، وقد يروي بعضهم عن بعض، والتابعون يروون تفسير القرآن عن الصحابة، ويروي بعضهم عن بعض أيضاً، وهكذا دواليك.

ومن أهم مميزات هذا العهد[1]: أن التفسير فيه يعتمد على الأثر والرواية أكثر من العقل والدراية، ولم يفسر القرآن فيه كاملاً مرتباً؛ بل كان يقتصر على بيان ما غمض منه ببيان مجمله أو كشف معنى لغوي بأخصر لفظ وأوجزه، وهذا أمر طبيعي نتيجة قربهم من عهد النبوة، وسلامة ذوقهم وفصاحتهم، وهكذا احتفظ التفسير في هذه الفترة بطابعه، ولم يتطرق إليه دخيل ـ اللهم إلا بعض الروايات الإسرائيلية في آخر عهد التابعين ـ ومن فضل الله أن تفسير القرآن وبيان معانيه في عهد الصحابة والتابعين كان يروى مع حديث النبي ﷺ جنباً إلى جنب، وقد هيأ الله لهذه الأحاديث الشريفة رجال الجرح والتعديل، فخلصوها مما قد علق بها من شوائب، فوصلت إلينا غضةً طريةً، وكأنما رسول الله ﷺ يتحدث بها بين أظهرنا اليوم، وبقي التفسير

(١) انظر: التفسير والمفسرون ١/ ٩٧، بتصرف.

يروى كرواية الحديث حتى أصبح علماً مستقلاً على أيدي طائفةٍ من العلماء الأجلاء الذين تولوا تفسير القرآن كاملاً مرتباً حسب ترتيب المصحف، من أمثال ابن ماجه (ت ٢٧٣هـ) وابن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) ومحمد بن إبراهيم النيسابوري[١] (ت ٣١٩هـ). وكان طابع هؤلاء وأمثالهم التفسير بالمأثور بالسند عن رسول الله ﷺ أو الصحابة والتابعين وتابعيهم، وقليلاً ما يتعرضون للاستنباط والرأي؛ اللهم إلا ابن جرير الطبري، فإنه ـ في بعض الأحيان ـ يذكر الأقوال ويوجهها، وقد يرجح بعضها على بعض.

ثم لما ضعفت الهمم عند الناس وانصرفوا عن الحفظ، جاء من اختصر لهم الإسناد أو حذفه، فاختلطت الأقوال بعضها ببعض «فدخل من هنا الدخيل، والتبس الصحيح بالعليل، ثم صار كل من يسنح له قول يورده، ومن يخطر بباله شيء يعتمده، ثم ينقل ذلك عنه من يجيء بعده ظاناً أن له أصلاً غير ملتفت إلى تحرير ما ورد عن السلف الصالح، ومن يرجع إليهم في التفسير»[٢]. ورغم ما فيه من حذف واختصار؛ فالصفة العامة للتفسير ـ في هذه الفترة ـ هي التفسير بالمأثور. وبقيت الحال على هذا إلى أواسط العصر العباسي حين ظهرت وانتشرت المذاهب الفقهية والعقدية والطرق الصوفية، والعلوم التخصصية، فراح كل فريق يفسر القرآن بالرأي، وبعضهم راح يلوي عنق الآية حتى توافق مذهبه أو عقيدته، ويزعم أن ما قاله هو تفسير للقرآن، وتأويل له.

---

(١) انظر: ٢/ ٥٠ من طبقات المفسرين للداودي، ص ٧٠ من الرسالة المستطرفة، وهو غير النيسابوري المفسر المشهور الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري الصوفي الواعظ، توفي سنة ٤٠٦هـ.

(٢) ٢/ ١٩٠ من الإتقان.

فالنحوي عندما يفسر لا هم له إلا الإعراب، وذكر الأوجه المحتملة لإعراب لفظه، ونقل قواعده، ومسائله، وفرعياته، وخلافياته، فإذا قرأت في تفسير هذه صفته، كأنما تقرأ «الكتاب» لسيبويه[١] أو «الإنصاف في مسائل الخلاف بين الكوفيين والبصريين» لابن الأنباري[٢]، وتظهر هذه السمة واضحة جليةً في تفسير الزجاج[٣] والواحدي في البسيط، وأبي حيان[٤] في كتابيه: البحر المحيط، والنهر على البحر.

والأخباري: ليس له هم إلا جمع القصص والأخبار الماضية؛ سواء كانت صحيحة أم ضعيفةً مقبولةً أم مرفوضةً كالثعلبي.

والفقيه: يحشو تفسيره بأقوال الفقهاء والمجتهدين، وربما استطرد في بسط أدلة المسألة الواحدة، وجواب المعارضين والرد عليهم. فإذا

---

(١) أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، الملقب بسيبويه، ولد سنة ١٤٨هـ ولازم الخليل بن أحمد، وألف كتابه في النحو المشهور بالكتاب، وقعت بينه وبين الكسائي مناظرة بحضرة الرشيد، عرفت بمسألة «الزنبور»، توفي على إثرها في الأهواز سنة ١٨٠هـ.
انظر البغدادي: تاريخ بغداد ١٢/ ١٩٥، الذهبي: ميزان الاعتدال ٢/ ٢٩٤.

(٢) أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الشافعي الأنباري النحوي الأديب اللغوي، أخذ النحو عن ابن الشجري واللغة عن ابن الجواليقي، ولد سنة ٥١٣هـ، وتوفي ببغداد سنة ٥٧٧هـ، وله من العمر (٦٤) سنة.
انظر السبكي: طبقات الشافعية ٤/ ٢٤٨، وابن العماد: شذرات الذهب ٤/ ٢٥٨.

(٣) أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السري بن سهل الزجاج، النحوي، المفسر، يعتبر أقدم تلاميذ المبرد، له كتاب «معاني القرآن»، توفي سنة ٣١٠هـ.
انظر: ابن العماد ٢/ ٢٥٩.

(٤) هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي، شيخ النحاة في عصره، ألف مصنفات في القراءات والتفسير والنحو والتاريخ، وأشهر كتبه: تفسير البحر المحيط، ولد سنة ٦٥٤هـ، وتوفي سنة ٧٤٥هـ.
انظر السبكي: طبقات الشافعية ٦/ ٣١، وابن العماد: شذرات الذهب ٦/ ١٤٥.

ما قرأت مثل هذا التفسير تكاد تقطع أنك إنما تقرأ في كتاب فقه كـ«الأم» للشافعي، والمغني لابن قدامة[١]، لا في كتاب تفسير. وقد نهج هذا النهج الإمام القرطبي[٢] في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن».

وصاحب العلوم العقلية: قد ملأ تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة وخزعبلاتهم وحججهم ومناظراتهم مما لا حاجة له أصلاً في علم التفسير، كالإمام فخر الدين الرازي[٣] في كتابه: «التفسير الكبير» حتى قيل عن تفسيره هذا: فيه كل شيء إلا التفسير[٤].

---

(١) الموفق أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي، إمام الحنابلة في عصره، ولد بقرية «إجماعيل» سنة ٥٤١هـ، كان عالماً مجتهداً وحافظاً ورعاً.
له مصنفات كثيرة، أشهرها: المغني في الفقه، قال عنه ابن تيمية: ما دخل الشام بعد الأوزاعي أفقه من الشيخ الموفق ـ رحمه الله ـ، وقال العز بن عبد السلام: ما طابت نفسي بالفتيا حتى صار عندي نسخة من المغني، توفي ليلة عيد الفطر سنة ٦٢٠هـ.
انظر ابن رجب: ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ١٣٣، وابن العماد: شذرات الذهب ٥/ ٨٨.

(٢) سنعد له فصلاً خاصاً لدراسة منهجه في التفسير.

(٣) هو محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي فخر الدين الرازي الشافعي، ولد سنة ٥٤٤هـ، اشتغل أول حياته بالفلسفة وعلم الكلام، ثم رجع وندم على ما فات منه، كان مما قال: لقد اختبرت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فلم أجدها تروي غليلاً، ولا تشفي عليلاً، ورأيت أصح الطرق طريقة القرآن ثم قال:

نهاية إقدام العقول عقال وأكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا قيل وقال

له مصنفات كثيرة، أشهرها، التفسير الكبير، والمحصول في أصول الفقه، توفي سنة ٦٠٦هـ.
انظر السيوطي: طبقات المفسرين ص ١١٥، وابن العماد: شذرات الذهب ٥/ ٢١.

(٤) ٢/ ١٧٠ البرهان للزركشي.

والصوفي: يقحم الآيات إقحاماً لتأييد طريقته، وإشباع نزعته مدعياً أن كل آية لها ظاهر وباطن، وأن تفسير الباطن ـ عند بعضهم ـ لا يعلمه إلا الخاصة من مشايخ الطريقة دون الراسخين في العلم من الصحابة والتابعين، ومن جاء بعدهم. ويظهر هذا جلياً في تفسير الطوسي، وسهل بن عبد الله التستري[١]، وغيرهم. وفعلهم هذا ليس بتفسير. يقول الإمام الزركشي[٢]: وإنما كلام الصوفية في تفسير القرآن ليس تفسيراً، وإنما هي معانٍ ومواجيد يجدونها عند التلاوة[٣] وهذه لم يُنزل الله بها من سلطان، وإنما هي من وسوسة الشيطان وتلبيسه؛ وذلك أنهم لما عجزوا عن صرف الخلق عن القرآن والسنة، صرفوهم عن المراد بهما إلى مخاريف وحرفوا معانيهما.

والشيعي: في تفسيره يحمل آيات النعيم والبشارة له ولشيعته من الأئمة المعصومين ـ في زعمه ـ كما يحمل آيات العذاب والتهديد على خصومه ومخالفيه. والحرب الدائرة بين علي ومعاوية ـ رضي الله عنهما ـ هي التي عليها يعول ومنها يأخذ الدليل، ومن يقرأ تفسير

---

(١) هو سهل بن عبد الله بن يونس التستري الزاهد، من أعيان الصوفية في القرن الثالث الهجري، لازم ذا النون المصري، وأخذ عنه، وكان ابن عربي صاحب الفصوص يثني عليه، ويقول: هو إمامنا. ألف في تفسير القرآن والرقائق والقصص، توفي سنة ٢٨٣هـ.
انظر الداودي: طبقات المفسرين ١/ ٢١٠، وابن العماد: شذرات الذهب ٢/ ١٨٣.

(٢) هو برهان الدين محمد بن عبد الله الزركشي الشافعي، ولد بمصر سنة ٧٤٥هـ، وأخذ العلم عن الأسنوي، وابن كثير، والسراج، والبلقيني، له كتب في شتى الفنون، وأشهر كتبه المتداولة: البرهان في علوم القرآن، توفي سنة ٧٩٤هـ.
انظر الداودي: طبقات المفسرين ٢/ ١٥٨، وابن العماد شذرات الذهب ٦/ ٣٣٥.

(٣) انظر: فضائح الباطنية للغزالي ص ١١.

الطبرسي والنيسابوري[١] ـ مثلاً ـ يجد تفسيراً سياسياً لفترةٍ معينةٍ، وكأنما أنزل القرآن للفصل بين الأمويين والعباسيين، أو أنزل لهم خاصة.

والمعتزلي[٢]: كالزمخشري في كشافه، والقاضي عبد الجبار[٣] في كتابه: «تنزيه القرآن عن المطاعن» يتعسفان أيما تعسف في حمل الآية لنصرة مذهبيهما في القول في الحسن والقبح، والقول بالمنزلة بين المنزلتين، أو في نفي صفات الله سبحانه كالكلام والاستواء والنزول والرؤية ونحو ذلك، ويزوِّقان ما يقولانه بما أوتيا من فصاحةٍ وبلاغةٍ وحسن تعبير لا يحس به كثيرٌ من القارئين والسامعين، ولكن الله هيأ لهؤلاء من أخرج اعتزالهم بالمناقيش، كما فعل ابن المنير في حاشيته على تفسير الكشاف.

---

(١) أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسين النيسابوري صاحب التفسير المشهور «غرائب القرآن ورغائب الفرقان» فقيه واعظ أديب عالم بالتفسير والسير، ويظهر على تفسيره سمة الصوفية في تفسير القرآن، وقد طبع تفسيره بهامش تفسير الطبري، توفي سنة ٤٠٦هـ.
انظر السيوطي: طبقات المفسرين ص ٤٥، الخواتساري: روضات الجنات ص ٣٢٤.

(٢) انظر: ٢/٥٠٢، ١/٢٩٨ تفسير الكشاف، وانظر ص ٢٢٦، ص ٤٤٢ من كتاب «تنزيه القرآن عن المطاعن».

(٣) هو أبو الحسين عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني، شيخ المعتزلة، ولي القضاء بالري، قال عنه صاحب الإمتاع والمؤانسة: حصل على المال حتى ضاهى قارون في سعة المال، وهو مع ذلك نغل الباطن خبيث المعتقد، قليل اليقين، وله تصانيف كثيرة، منها: تنزيه القرآن عن المطاعن، وهو في الحقيقة: كله مطاعن خفية، وشرح الأصول الخمسة للمعتزلة، والمغني في أبواب التوحيد، ولقد توفي بالري سنة ٤١٥هـ.
انظر الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١١/١١٣، وابن حجر: لسان الميزان ٣/ ٣٨٦.

أما التفسير في العصر الحديث: فالسمة الغالبة عليه أنه تفسير إنشائي علمي (بالاصطلاح الحديث) يعني بالاكتشافات العلمية، والظواهر الاجتماعية والنفسية أكثر من عنايته بالأثر، ودلالة اللغة العربية التي أنزل بها القرآن، ومن يقرأ تفسير «الجواهر» لطنطاوي جوهري[١] يجد من البحوث والنظريات والاكتشافات الحديثة الشيء العجاب، وكأنما القرآن أنزل ـ فقط ـ ليعلمنا تفاصيل الفلك وكواكبه ومداراته وذراته ومجراته في حركته وسكونه.

أما الأستاذ سيد قطب[٢] ـ رحمه الله ـ فقد عظُم القرآنُ في نفسه، ولم يفسره بالمعنى الاصطلاحي للتفسير؛ وإنما وقف منه وهو يعيش تحت ظلاله وقفات إيمانية استرعت انتباهه وشدت تفكيره؛ لا سيما وهو يعيش في أوضاع مجتمعه السيئة التعسة من جهل بالإسلام وأحكامه بين الأفراد إلى تحكيم للطاغوت واستعباد للبشر، وامتهان لكرامتهم عند الحكام الجائرين الذين فضلوا قوانينهم على أحكام رب العالمين.

---

(١) ولد في مصر سنة ١٢٨٧هـ، تعلم في الأزهر مدة، ثم في المدارس الحكومية، وعني بدراسة اللغة الإنجليزية، درس في مدرسة دار العلوم، وألقى محاضرات في الجامعة المصرية، ألف عدة كتب، أشهرها: تفسيره (الجواهر) وحشاه من الأساطير والقصص العصرية، وفسر الآيات بالنظريات وبالمكتشفات العلمية، توفي سنة ١٣٥٨هـ.

انظر الزركلي: الأعلام ٣/ ٢٣٠.

(٢) اسمه سيد قطب بن إبراهيم الكاتب الإسلامي المعروف، كان أديباً ابتعث للدراسة ببرامج التعليم في أمريكا عام ١٩٤٨م، ولما رجع دخل جماعة الإخوان المسلمين، وصار رئيس تحرير جريدتهم، وأخذ ينتقد برامج التعليم في مصر لمجانبتها للإسلام، وألف كتباً كثيرة، أشهرها: تفسيره (في ظلال القرآن) و (معالم في الطريق)، أعدمه جمال عبد الناصر عام ١٩٦٦م.

انظر الزركلي: الأعلام ٣/ ١٤٧.

أما تفسير المنار للأستاذ محمد رشيد رضا[١] فهو ـ بحق ـ أقرب التفاسير المؤلفة في العصر الحديث إلى طريقة السلف ـ التفسير التحليلي بالمأثور ـ وإن كان في بعض الأحيان يحتج بالتفسير العقلي والعلمي متأثراً بأستاذه محمد عبده[٢] الذي تمحل في تفسير آيات القرآن لتتفق مع النظريات العلمية في عصره، ليضيق الهوة ـ في زعمه ـ بين الشرق المسلم، والغرب الملحد.

وقد ظهر في العصر الحديث دراساتٌ موضوعيةٌ لجوانب هامةٍ من القرآن الكريم وعلومه تفوق كثرةً التفاسير المؤلفة في هذا، فمن دراسة «للوحدة الموضوعية»[٣] في القرآن الكريم، أو في سورة من سوره[٤]

---

(١) اسمه: محمد بن رشيد بن علي رضا بن محمد القلموني، صاحب مجلة «المنار»، وأحد رجال الإصلاح في العصر الحديث، ولد سنة ١٢٨٢هـ، له ثقافة واسعة في شتى المعارف. نشأ في الشام وتعلم فيها، ثم رحل إلى مصر، فلازم أستاذه محمد عبده، وتتلمذ عليه، ومن أشهر كتبه: تفسير المنار، توفي فجأة سنة ١٣٥٤هـ.
انظر الصعيدي: المجددون في الإسلام. الزركلي: الأعلام ٦/١٣٦.

(٢) الأستاذ محمد عبده بن حسن بن خير الله التركماني، درس في الأزهر، وكان من أشد المؤيدين للثورة العرابية، فسجن ثم نفي إلى الشام، وسافر منها إلى باريس، وأصدر فيها بالاشتراك مع الأستاذ جمال الدين الأفغاني مجلة «العروة الوثقى»، تولى القضاء في مصر، ثم عين مفتياً للديار المصرية، وبقي فيها حتى وفاته سنة ١٣٢٣هـ، وألف عدة كتب، أشهرها: تفسير القرآن الكريم ـ ولم يكمله ـ، ورسالة «التوحيد».
انظر: الزركلي ٦/٢٥٥.

(٣) مثل: الوحدة الموضوعية في القرآن ـ تأليف: محمود حجازي، و الوحدة الموضوعية في سورة يوسف ـ تأليف: حسن باجودة، ورائد هذا المنهج في التفسير الإمام الشاطبي.
انظر: الموافقات ٣/٤١٦.

(٤) ترتيب سور القرآن، أسرار التكرار، ـ كتابان للسيوطي طبعا حديثاً بتعليق: عبد القادر عطا ـ وألف عبد الكريم الخطيب «إعجاز القرآن»، «قصص القرآن»، «الفاصلة القرآنية»، وألف الدكتور لبيب السعيد «الجمع الصوتي للقرآن الكريم».

إلى سر تكرار آيات القرآن وترتيبها، وإعجاز القرآن وقصصه وأمثاله والنسخ في القرآن الكريم، والفاصلة القرآنية.